متحف الخبراء

الفصل 6

ابتداع متحف في غرفة صفية في روضة أطفال

مارغريت بلاكلي وأندريا فونسيكا Margaret Blachly& Andrea Fonesca

أسست أكاديمية القرن الحادي والعشرين لقيادة المجتمع (P.S. 10) في مرتفعات واشنطن، نيويورك عام 2004م، وهي مدرسة حكومية ثنائية اللغة لمرحلة ما قبل الروضة، الأطفال غالبيتهم هنا من خلفيات أمريكية لاتينية، بما فيهم أبناء مهاجرين من الجيل الأول والثاني من مختلف البلدان، والعائلات في هذه المنطقة -في الغالب- من جمهورية الدومنيكان، وأيضًا من المكسيك والإكوادور وبلدان أخرى عديدة. تكوّن هذا الصف الشامل من 25 طفلًا، يتلقى 40% منهم شكلًا ما من الخدمات التعليمية الخاصة، كما تتلقى غالبية الأطفال وجبات غداء مجانية أو ذات سعر مخفض.

الآباء وأفراد العائلات ينتظرون -بفارغ الصبر- خارج الباب المغلق لغرفة الصف، بجانب الباب هناك طاولة جاهزة لبائعي البطاقات كي يأخذوا مواقعهم عليها، هناك لافتة تقول: «ادفع التبرع من فضلك»، وهناك أيضًا جرة كبيرة فارغة تجمع فيها النقود، وكذلك صفحات ورق استخدمت كبطاقات تعريف لاصقة يظهر عليها الحرفان (M.E)، كتبها -بعناء- أطفال من ذوي أعمار الخامسة والسادسة لتدل على أن الزوار قد دفعوا التبرعات. هناك عاموديان ضخمان من الورق ذي اللون الرمادي على جانبي باب غرفة الصف، وثمة لافتة ضخمة معلقة إلى جانب العاموديين رسم عليها بحروف الأطفال الكبيرة عبارة (متحف الخبراء).

متحف الخبراء

داخل غرفة الصف يعدو الأطفال جيئة وذهابًا قبل الحدث، تبين البطاقات الاسمية التوضيحية المثبتة حول رقابهم وظيفة كل منهم: بائع بطاقات، طاولة المعطيات، مرشد

المتحف، حارس الأمن المحبوب جدًّا. يلصق المتطوعون من الآباء والمدرسون بسرعة شريطًا مخفيًّا على كل ما انفك من الأوراق في هذه العروض، ويهمسون بأذان الأطفال التواقين بكلمات تذكرهم بالمهمة، يقف بائعو البطاقات عند الباب وهم على استعداد لأخذ أماكنهم، يفتح أحد المعلمين الباب ويعلن: «الباب مفتوح»، يقول الأطفال عند طاولة المعطيات بعد أن لُقنوا الكلمات: «أهلًا وسهلًا بكم في المتحف».

يظهر الدليل على خمسة أشهر من العمل في الاتزان والمسؤولية والجهود التي بذلها الأطفال حتى أكثرهم حُرونًا، تسطع ملكة التعلم من المعروضات التي تصطف في الغرفة، حيث ينم كل واحد منها عن موضوع مختلف يسهر على سلامته أطفال روضة الأطفال الذين يدركون أنهم أصبحوا خبراء حقًّا.

كيف جاءت هذه اللحظة البهيجة؟ كانت مدرستنا مدرسة حكومية ذات منهاج مفروض من السلطات ولا يحتوي على مشروعات دراسات اجتماعية، وثمة عوامل جعلت من الممكن بالنسبة إلينا أن نجرب شيئًا جديدًا. كنا نعلم أن مديرتنا كانت تقدر المنهجية التقدمية في التعليم والتعلم؛ لذلك كنا نشعر بالأمان حين طلبنا إذنًا بالتجريب. إضافة إلى ذلك شجعتنا مطورة الهيئة التدريسية على استعمال منهجية المشروع التي حددها جودي هيلم وليليان كاتز Judy Helm and Lillian Katz, 2011 والتي تدعم ما تعلمناه من تطوير المنهاج في كلية بانك ستريت.

كان التعاون أهم عامل يكمن في الفرص المتاحة. لقد أردنا أنا وأندريا ومارغريت (وهما مدرستان متشاركتان في غرفة صف شاملة) وآمي بونس (وهي مدرسة أخرى في روضة أطفال)، أردنا جميعنا أن نجرب منهجية تقدمية، كان قسم التعليم في مدينة نيويورك يدفع باتجاه تبني المعايير، وكانت هذه القواعد هي اللغة السائدة في اجتماعات الهيئة التدريسية، ولكن كان لدينا منظور مختلف، فقد أردنا أن تكون الدراسات الاجتماعية جوهر منهاج متكامل يجذب الأطفال بطرق مناسبة من منظور تطويري. لقد كنا مدرسات شابات، ولكننا لم نكن مدرسات جديدات. حين نفكر كيف انتقل مشروع المتحف من الفكرة إلى الواقع فإننا ندرك أن شراكتنا كمدرسات ثلاث كانت ضرورية.

طورنا دراسة المتحف على مدى ست سنوات عن طريق ستة صفوف. يحكي هذا الفصل قصة بداية المشروع، وكذلك قصة توسيعنا له حتى حين كانت توقعات الإنجازات الأكاديمية لأطفال الروضة تنحو إلى الأعلى.

حين أخذ الضغط يأتي بالتدريج من صناع السياسة إلى المديرين والمدربين والمعلمين والأطفال، والمناخ التعليميّ يركز على المناهج المكتوبة، أصبحت مدرستنا أقل إبداعًا. ولأننا بدأنا المشروع سويًّا وكنا دائمًا نشعر أن مديرتنا تؤمن به، فقد صممنا على الحفاظ عليه بالرغم من هذه التحديات.

في السنة الأولى كنا نحن الثلاثة نجلس على كراسي صغيرة جدًّا لمحاولة فهم كيفية سير الأمور، وكيف يمكن لنا أن ننفذ مناهج تعلم القراءة والكتابة والرياضيات، في وقت نضمن فيه استمرار الأطفال في العمل في مراكز غير محدودة كل يوم، والأهم من ذلك كله؛ هل باستطاعتنا أن نعمل دراسة؟ في دراسة واسعة على الصف بأكمله وجهنا الأطفال إلى الوصول إلى تكامل تعلمهم عن طريق تجارب لغوية غنية. إن حدثًا يتوج كل هذا سيسمح للأطفال بأن يجمعوا كل شيء يتعلمونه، وأن يظهروا حالات الفهم تلك في طريقة ذات معنى.

في جلسة عصف ذهني حول موضوع معين في دراستنا، تحدثت مارغريت عن أخذها لأطفال الحضانة إلى المتاحف في السنة الماضية، وقالت بأنها وجدت التحفيز في ذكريات الأطفال عن المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، بقاعاته الفخمة، وعظام الديناصور، ونموذج الحوت الأزرق الضخم. أما أندريا التي ترعرعت في بوغوتا فقد كانت أيضًا من الزوار النهمين للمتاحف، فلو أننا شرعنا بدراسة عن المتاخف لكان باستطاعتنا القيام بهذه الرحلات، وبعدها نبتدع متحفًا في غرفة الصف. كان يدفعنا إلى أبعد من ذلك فكرة مثالية، لقد أردنا أن يستفيد أطفالنا من ميزة المتاحف كأماكن للاكتشاف والدهشة، وأن يكتسب الأطفال وآباؤهم إحساسًا بامتلاك جزء من مدينتهم التي ربما لم يستكشفوها. وثقنا نحن الثلاثة بأنفسنا كثيرًا، وأردنا أن نطور منهاجًا يعبر عن قيمنا.

كان اختيار موضوعنا أشبه بإشعال شرارة، وبتفاؤل كبير اقتربنا من تحدي دمج منهاج تعلم القراءة والكتابة الرسميّ بوحدة في المتحف. كان المنهاج يحتوي على وحدتين حول

القراءة وكتابة النصوص غير القصصية، وكان في وسعنا أن ندمج دراسة المتحف بهاتين الوحدتين. وبعد أن تعلموا عن المتاحف عن طريق التجربة استطاع أطفالنا في الروضة كتابة نصوصهم غير الخيالية. سيعرض متحف غرفة الصف كتابتهم لنصوص غير خيالية وقراءتهم لها.

شرعنا في مغامرتنا هذه في غرفة صفية ثنائية اللغة، كان الأطفال يدرسون المتاحف ويقرؤون ويكتبون نصوصًا غير خيالية، في هذه الأثناء يتعلمون لغة ثانية ويقوّون لغتهم الأولى أيضًا. كان الأطفال في غرفة صفنا يتعلمون الإنكليزية والإسبانية، بعض الأطفال عندهم أساس في كلتا اللغتين قبل دخولهم إلى الروضة، في حين أن بعضهم الآخر كان يتحدث الإنكليزية والإسبانية في البيت ويكتشفون لغة جديدة في المدرسة. اتبعت مدرستنا نموذج اللغات المتعاقبة؛ فقد كنا ندرس بالإسبانية مدة ثلاثة أيام واللغة الإنكليزية مدة يومين في الأسبوع الواحد.

كانت الغاية من البرنامج الثنائي اللغة أن يصبح الأطفال ثنائيي اللغة وثنائيي الثقافة. حين نخطط للأعمال الروتينية والمناهج يكون لدينا هدف إضافي وهو تدريس لغة ثانية، ونستعمل إستراتيجيات كثيرة لنضمن أن الأطفال مهتمين ومتفاعلين؛ وإن لم يفهموا كل كلمة، إننا نتكلم ببطء ووضوح، ونستخدم تعابير الوجه والإشارات والصور البصرية وبعض لغة الإشارة، ونغني أيضًا، إننا ننشد ونغني طوال اليوم. لقد لاحظنا أن الأطفال يتعلمون الأغاني ويبدؤون في الغناء بلغتهم الثانية قبل أن يحاولوا التكلم بها. هنا أدركنا أننا بحاجة لأن نجد أغاني عن المتاحف، وإذا لم نستطع أن نجد أغاني مثالية فسنخترعها.

كنا نعلم أن دراسة المتحف سوف تدعم التطور الاجتماعي واللغة الأكاديمية، وستوفر زيارات المتحف الفرص للحصول على تجارب للمس الأشياء باليد، وتعلم المفردات والعبارات عن طريق السياق، وستتيح المناقشات للأطفال فرصًا لاستخدام اللغة الشفوية في نصوص ذات معنى.

كان دمج دراستنا مع منهاج تعلم القراءة والكتابة متماشيًا مع هدفنا بدعم الأطفال في المراحل المختلفة في تطوير لغاتهم الأم واللغات الثانية.

بناء معرفة تشاركية

في إطار المنهجية المبنية على فكرة المشروع يقدم المدرسون التجربة والوقت للأطفال، كي يتأملوا هذه التجارب، يطور الأطفال الأفكار ويكتسبون المعطيات إضافة إلى المدخل المستمد من أعضاء المجموعة جميعهم، ونظرًا لوجود مصالح وتجارب وخلفيات ومعرفة مختلفة، فإن بعض الأطفال يحتاجون مزيدًا من الدعم في تطوير فهمهم، في حين أن بعضهم الآخر يحتاج إلى توجيه في تعميق معرفتهم السابقة وتقديمها للمجموعة. حين أجرينا دراسة المتحف على مدى السنوات الست التالية أجرينا تجارب على الأنشطة التي ستجمع الصف -بصورة فاعلة- في مجال التعلم، وتدعم بعمق معرفة الأطفال. لقد خلقنا أنشطة جديدة كل يوم، وكررنا الأنشطة التي نجحت، وأسقطنا الأنشطة التي لم تنجح.

افتتحنا الدراسة بسؤال مكتوب على لوحة: (هل سبق لك أن زرت متحفًا؟)، وتحت هذا السؤال عمودان: (نعم) و(لا). حققت هذه الدراسة الإحصائية غايتين مهمتين: الأولى أنها قدمت كلمة متحف، والثانية أنها بينت لنا من منَ الأطفال لديه تجارب مباشرة في المتاحف، فوجدنا -في الغالب- أن معظم الأطفال لم يزوروا متحفًا من قبل، دعونا بضع أطفال ممن أجابوا (نعم) ليتحدثوا عن تجاربهم، فذكر الأطفال أن مشاركتهم -في الأغلب- كانت في مشروع للحرف اليدوية واللعب بالدمى في متحف الأطفال، أو رؤية (الفن) واللوحات الفنية، كما ذكرت الديناصورات أيضًا.

كنا حريصات على ألا نقدم تعريفًا للمتحف، أقررنا تجربة كل طفل وقلنا للصف: «إن الأطفال في صفنا فعلوا ورأوا الكثير من الأشياء المختلفة في المتحف». بعد أن أُذكي اهتمام الأطفال أعلنا أننا في القريب العاجل سنزور المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، هلل الأطفال لفكرة الرحلة، ولكن لم يكن معظمهم متأكدين مما يتوقعونه من هذه الزيارة، هيأناهم للرحلة من حيث الأمان من دون أن نخبرهم بما سيشاهدونه في المتحف؛ فنيتنا أن يكتسبوا تجارب مباشرة نتأملها فيما بعد لنبني فهمًا تشاركيًّا بشأن المتاحف.

خطط لكل رحلة إلى المتحف على أنها جزء من سلسلة من التجارب، وأول رحلة هي رحلة إلى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي بحجمه الضخم ومعروضاته المثيرة من الحيوانات، يقيننا بأن رحلة إلى هناك ستجذب كل طفل كان سببًا للقيام بذلك، وسبب آخر

هو أن المتحف يقبل أي تبرع رسمًا للدخول. تملّكنا شعور قوي بضرورة إدخال الآباء إلى هذا المكان واعتباره موردًا يمكن العودة إليه، في أول رحلة لنا إلى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ركبنا قطار الأنفاق بدلًا من حافلة المدرسة، وشجعنا الآباء على الانضمام إلينا، أردنا التأكد من أن وصول العائلات إلى المتحف أمر سهل، وأن باستطاعتهم أن يأخذوا أطفالهم إلى المتحف على حسابهم الخاص، أول زيارة كانت لمعروضات الديناصور؛ فقد وجدنا أن الهياكل العظمية العملاقة أحد الخيارات المفضلة.

أتينا بألواح مشبكية، وأقلام رصاص، وصفحات ورق بيضاء لتدوين ملاحظات الرحلة؛ فالرسم يؤدي إلى ملاحظة أكثر دقة وفهم وذاكرة أقوى. حين دخل الأطفال إلى المتحف أعجبوا بالبناء الضخم والأسقف العالية وأراضي الغرف اللامعة، صعدنا الدرج الرخامي، وشرحنا للآباء رغبتنا في أن يختبر الأطفال حجم المتحف وهندسته المعمارية، بالرغم من أن استعمال المصعد أسهل، عند مدخل قاعة الديناصورات سمعت شهقة وصرخة جماعية لا بد منها، حين رأى الأطفال الهياكل العظمية والأشكال المتصلبة وسط الأضواء الساطعة الطبيعية للقاعة الكهفية، أراد معظم الأطفال أن يرسموا T-Rex بأسنانه المستدقة، أو ديناصور الأباتو صاروص ApatoSaurus والذي يبلغ طول هيكله العظمي طول القاعة نفسها، تعجب أطفال آخرون من النوارس المجففة التي كانت تتدلى من السقف أو من مستحاثات بيوض الديناصور. بعض الأطفال عندهم أسئلة، وآخرون يريدون المساعدة في قراءة البطاقات التعريفية للمعروضات.

بعد خمس وعشرين دقيقة ذهبنا إلى قاعة الديناصورات الطائرة Ornithischian Dinosaurs، وكررنا التجربة، كان هذا يكفي لصباح يوم واحد، شملت الزيارة أيضًا تناول الغداء والذهاب إلى الحمام. إضافة إلى ذلك طلبنا إلى حراس المتحف المساعدة، ونظرنا إلى الدليل الضخم الموجود على الحائط، وفردنا خرائطنا كي نحدد مكان وجهتنا.

تطوير تفاهمات مشتركة

في اليوم التالي استخدمنا أوراق الرحلة وصورها للبدء بمحادثة، أعطينا الأطفال أوراق ملاحظات لاصقة ليرسموا (ويكتبوا إن أرادوا) شيئًا شاهدوه في المتحف، وحين

أصبح كل طفل مستعدًّا استخدمنا ورقة رسم بياني لتصنيف ما رأوه، وفي منتصف هذا الرسم البياني صورة للمتحف. حين أخبرنا الأطفال عما رسموه نشرنا ملاحظاتهم مع الرسوم على صورة مجموعات، فمثلًا؛ وضعنا رسومات الديناصورات وصورها في إحدى زوايا الرسم البياني، بعدها دعونا الأطفال للتفكير بشيء آخر رأوه، وأضفنا ملاحظاتهم إلى الرسم البياني، مما ذكره الأطفال أصناف الناس الذين رأوهم (حراس الأمن، أطفال آخرون يقومون برحلة، عائلات)، وحيوانات أخرى، وأجزاء من البناء مثل الدرج والأعمدة. نظرنا إلى الرسم البياني وسألنا الأطفال عما لاحظوه، كان الرسم البياني يطغى على جدار منطقة اللقاء، وأشرنا إليه مرارًا وتكرارًا بينما كنا نجري أحاديث رسمية وغير رسمية في المتحف.

عدنا برحلتنا الثانية إلى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي لنزور قاعة حياة المحيط، أردنا أن يجرب الأطفال المشي تحت الحوت الأزرق -وهو أضخم حيوان عاش على وجه الأرض على الإطلاق- في الوقت الذي يحيط بهم صوت هدير المحيط ذي الصدى. كانت القاعة شبه المظلمة مضاءة بألواح سقف بيضاء وزرقاء تشبه الغيوم، وهنا شعر الأطفال بأنهم تحت الماء وينظرون إلى الضوء عند السطح. حين عدنا إلى المدرسة أضفنا رسومات وصورًا إلى رسمنا البياني عن حيوانات المحيط.

بعد هذا المشروع تنوعت رحلاتنا إلى المتحف من سنة إلى أخرى، ففي بعض السنوات عدنا إلى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وركزنا على معروض مختلف، مثل قاعة الغابات الأمريكية الشمالية، وزرنا متحف العاصمة للفن كل سنة، وهذا متحف آخر يتصف بالفخامة، وهو معرض أيقوني يحمل الملامح المعمارية نفسها وفيه مجموعة واسعة من المعروضات.

بدأنا نرسم صورة صغيرة لمتحف كلما كتبنا كلمة متحف مستخدمين درجًا وأعمدة فخمة؛ فقد أصبح عند الأطفال مرجعية لهذه الأيقونة. انتهزنا الفرصة لنبين أن بعض المتاحف تبدو مختلفة عن هذه الصورة الكلاسيكية. وضعنا برامج لزيارة متحف El Museo del Barrio، أو متحف المجتمع الإسباني Hispanie Society Museum حيث كان شرح الجولات

باللغة الإسبانية متوافرًا. لقد أردنا من أطفالنا رؤية أن التراث الإسباني والأمريكي اللاتيني -الذي يمثل لغة أغلبية طلابنا وثقافتهم- تراث مقدر، وينتمي إلى متاحف مدينتنا.

كنا نعلم أننا بحاجة لأن تقدم للأطفال فرص ليمثلوا ما شاهدوه، وأننا بحاجة لأن نوجه المجموعة للقيام بملاحظات وتعميمات أعمق عن ماهية المتاحف ودروها في مجتمعنا. حين قمنا برحلتين لمتحفين استعملنا مخطط ڤن مع أوراق ملاحظات لاصقة وصور فوتوغرافية، لمقارنة المتاحف المعينة، وتحديد تعريف للمتاحف. بدأ الأطفال -كالعادة- بالقول إن المتاحف أماكن يذهب الناس إليها ليروا أشياء، لقد أردنا أن يتوصل الأطفال إلى فكرة أن الناس يذهبون أيضًا إلى المتاحف ليتعلموا أشياء ويمتعوا أنفسهم.

كانت أحاديث المجموعة ضرورية لهذه العملية، لم يعتد الأطفال غالبيتهم على إجراء أحاديث بينهم مع وجود معلِّمين يلعبون دور الميسّر، لم تردعنا حقيقة أن لدى كثير من الأطفال (متعلمي لغة ثانية ولديهم برامج تعليم منفرد IEPs) من الاعتقاد بأن هذه الأحاديث يمكن أن تجري، وفي بعض السنوات كان علينا أن نطرح المزيد من الأسئلة البارزة، ثم نتأمل سويًّا ما فهمه الطلاب، وما الذي ما زالوا مشوشين تجاهه. وفي أثناء النقاشات الصفية كثفنا وأوضحنا الأفكار الرئيسة، ليكتسب الأطفال أغلبيتهم فهمًا أساسيًّا.

شارك الأطفال وعززوا حالات الفهم لديهم بطرق عدة، فبعد كل رحلة ينظر الصف إلى صورة فوتوغرافية، وطلبنا إليهم أن يرسموا، ويكتبوا عن التجربة، ويتحدثوا عنها. طلبنا إليهم أيضًا أن يعملوا مع شركاء، حيث وضعنا كل زوج من الأطفال مقابل أطفال من خلفيات لغوية مختلفة، كما طورنا إشارات لغة الإشارة لكلمات المفردات المتعلقة بالمتاحف، وبطبيعة الحال غنّينا. ألفنا أغانيَ بالإنكليزية والإسبانية أضاف إليها الأطفال أشعارًا مثل:

ذهبنا إلى المتحف، ماذا رأينا؟.

ذهبنا إلى المتحف، ماذا رأينا؟.

رأينا حوتًا بذيل طويل جدًا.

وأشياء كثيرة كثيرة أخرى.

حين غنى الأطفال عما رأوه كانت الصور الفوتوغرافية ورسوماتهم تساعدهم على توليد الأفكار، وبدؤوا يستعملون مفردات جديدة باللغتين كلتيهما. كانت التجربة التشاركية

محفـزة جـدًّا، وكانت الأغانـي مصدر لهو كبير لدرجة أن الأطفال أصبحوا يسـتعملون لغتهم الثانية بصورة متكررة.

دمج المعرفة عن طريق الخيار واللعب

كانـت خيـارات وقـت العمـل (ويعنـي مصطلحنـا هـذا مـا يسـميه المدرسـون المراكز والمشـروعات والعمل أو الوقت المختار بعناية) نشـاطًا يوميًّا، بالرغم من قلقنا من الأوامر الرسـمية بشـأن منهاجنـا، وكان ذلك -غالبًا- فـي الحصة الأخيرة من اليـوم، ومع ذلك لم يكن الأمر المثالي لإيقاعات الأطفال وأساليب التعلم ومرحلة النمو متمثلًا في التعلم النشط -أي صنع الأشـياء والتشـارك بها وفهمها- والبناء، والرسم، واللعب في أفضل طريقة، وهذه الخطـوات تجـارب حية يتذكرها الكبار حين يسـألون عما يتذكرونه مـن روضة الأطفال. وإن نحن جدولنا هذا التعلم في مدة الصباح، فإن توقعات مدرستنا ستكون على العكس، ولذلك وصلنا إلى حل وسط، وصممنا أن ندخل هذا التعلم النشط كل يوم.

بحلـول فصـل الشـتاء كان الأطفال ضليعيـن في الأعمـال الروتينية لوقـت العمل، وهم يعلمون أننا نقدر الوقت ونقدر عملهم وأفكارهم، كان لدى الأطفال الوقت ليتحدثوا عن عملهم في كل يوم، ويروا ما كان يعمل زملاؤهم في الصف، وحين بدأنا دراسة المتاحف، طلبنا إلى الأطفال أن يربطوا بين تجاربهم في المتحف والأنشطة في مناطق من المكعبات واللعب المثير والكتابة والعلوم، فمثلًا؛ كانت منطقة المكعبات تُكرس لبناء المتاحف، وباستطاعة الأطفال أن يعملـوا وحدهم أو مع بعضهم بعضًا، ووضعنا مدرسـة هناك لتسـتمع إلـى أفكار الأطفال، وتتحدث عما يحتاجه المتحف. استخدم كثير من الأطفال المكعبات لبناء الأعمدة، في حين بنـى آخـرون -ببسـاطة- هياكل ضخمة، وحين قـام الصف بمزيد من الرحـلات أصبح بناء المكعبـات لديهـم أكثر تعقيدًا وتفصيلًا (انظر الشـكل 6.1). أعـادت جوليا ودينا وآلي إنتاج النوافير الموجودة خارج متحف العاصمة للفنون مستخدمات أعمدة مثلثية صغيرة.

كشفت لنا مراقبتنا لكل طفل في منطقة المكعبات عن نقاط القوة عندهم، والتحديات التي تواجههم، والتحفيز الذي لديهم أكثر من أي من التقييمات الرسمية التي استخدمناها، فمثلًا:

حاول ثيودور جاهدًا أن يتكلم، إنه نادرًا ما يرفع يده في أثناء النقاشات الصفية، وكان لديه القدر القليل جدًّا من مهارات الكتابة والقراءة. كان يتهرب من رحلات المتحف ومن التحدث عنها. بيد أنه أمضى وقتًا طويلًا في منطقة المكعبات يدرس صورة إيضاحية عن الحوت الأزرق في كتاب غير خيالي. رسم مخطط حوت على قطعة من ورق البناء، وسرد قصة بجهد جهيد، وعلق حوته في المتحف المبني من المكعبات بأشرطة لاصقة طويلة.

كان هـذا نصـرًا كبيرًا بالنسـبة إلى ثيودور، وكذلك لمنهجية التعلم، فمن دون متنفس التعبير هذا لما استطاع أن يظهر المعرفة التي يمتلكها أو إبداعه في نقلها.

(الشكل 6.1): الأطفال يبنون متاحف في منطقة المكعبات

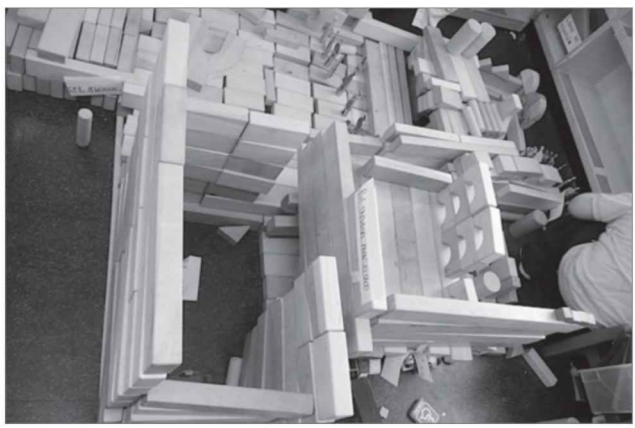

نشرنا صورًا فوتوغرافية وكلمات تتعلق بالمتاحف قرب منطقة المكعبات، وأضفنا إليها سـلة من الكتب والأدلة، أما السـلة الأخرى فاحتوت بطاقات فهرس، وأقلام تخطيط، وأقلام شمع ملونة، ومقصات، إضافة إلى شريط الإخفاء الذي يعتمد عليه دائمًا، كان عدد قليل من الأطفال ميالين بصورةطبيعية إلى صنع لافتات ترشـد إلى متاحفهم المبنية من المكعبات، وتبعهم في ذلك الآخرون. ولكي يكتبوا اسـتخدم الأطفال الرسم، واخترعوا التهجئة وكلمات المتحـف المعلنـة، وبذلـك بينـوا كيف يسـتخدم القراء والكتـاب الصغار النص بطرق ذات معنى.

فـي منطقـة الكتابة اقترحنا أن يكتب الأطفال كتبًا عن المتاحف، وقد قام الكثير منهم بذلك، إما بإملاء قصص تنطوي على المتاحف، أو بإنتاج نسـختهم الخاصة بهم عن كتاب

مـا يتعلـق بالمتاحـف، وضعنـا صندوقًا مـن بطاقات المتحـف واللوحات الاسـمية في منطقة اللعـب المثيـر، إضافة إلى مـواد الكتابة، مثل تلك الموجودة في منطقـة المكعبات، لم نحدد أعمـالًا تتعلـق بالمتحـف في المناطـق الأخرى، لكننا كنـا مبتهجات دائمًا حيـن كان الأطفال يصنعون -وبصورة مستقلة- أشياء تتعلق بالدراسة.

قام كريـس وكيفن ببنـاء المتحف الأمريكـي للتاريخ الطبيعي من الورق المقوى وأغطية القوارير، فقد عملا مدة أكثر من أسبوع وهما يرسمان النموذج، حيث أضافا أعمدة وسقفًا مثلث الشكل، وكتبا، وصنعا لافتات من ورق.

صنع الأطفال ديناصورات وحيتانًا عند الطاولة الرملية، أو بواسطة عجينة اللعب، وعن طريق إعادة خلق تجاربهم كان الأطفال يعالجونها، كما أظهروا لنا أي الأجزاء كانت مفهومة ومهمـة بالنسـبة إليهـم، وهذا ما أتـاح لنا الفرصـة للإضافة إلـى ما كان الأطفـال يعرفونه، وتقديم لغة أوسع نطاقًا إليهم كي يعبروا عن أنفسهم.

دمج المنهاج الرسمي

بالوقـت نفسـه أطلقنـا وحـدات القـراءة والكتابـة غيـر الخياليـة لدينا، وهـي جزء من المنهاج الرسميّ الذي أعطته المعايير الحكومية الرئيسة المشتركة الأولوية، بدأنا -بصوت عـال- بقـراءة كتب غيـر خيالية عن المتاحف، مثـل **الديناصورات واليعسـوبات والألماس**، كل ذلـك يـدور حـول متاحـف التاريـخ الطبيعـي Gibbons 1988 إضافة إلى كتـب رأيناها في المتحـف، مثـل **الحـوت الأزرق الكبيـر Big Blue Whale**، Davies 2001. أشـرنا إلـى أن هـذه الكتب غير الخيالية كتب (معلومات) بسبب المعلومات الإسبانية المتشابهة.

تشـاركنا فـي الدهشـة حيـن قرأنا هـذه الكتـب وقلنا: «يـا إلهـي، كتاب عـن المتاحف. دعونا نرى ماذا نكتشـف المزيد عن المتاحف». كانت هذه الكتب ذات معنى لأنها ذات صلة بالموضـوع، أوضحنـا أن مؤلفـي كتـب المعطيات خبراء فـي الموضوعات التـي يكتبون فيها، بحث الأطفال في كتب المعطيات عن موضوعات مختلفة، واسـتخدموا بطاقات الملاحظات اللاصقـة، ووضعوا علامات على الصور التي أرادوا التشـارك فيهـا مع الأصدقاء، لقد كانوا

منتشين حين اكتشفوا كتبًا تدور حول موضوعات مهمتهم. سألنا الأطفال عما لاحظوه، وعن الاختلاف بين كتب المعطيات والكتب الأخرى، فقد لاحظ الأطفال صفحات المحتوى، وعناوين الفصول، والرسوم البيانية، والصور، والبطاقات التعريفية، والخرائط، ومسردات بالكلمات الصعبة، لم يمهد لهذه الكتب، ولم يجر تبسيطها، فلم يقدر الأطفال -معظمهم- على قراءة النصوص، ولكن المحتوى جذبهم كثيرًا، وفي أثناء تفاعلهم مع هذه الكتب جمع الأطفال المعطيات، بالرغم من أنهم غير مهيئين لقراءة الكلمات فعليًّا، كانت بعض دروسنا جزءًا من منهاج القراءة والكتابة الذي نتبعه، بيد أننا درسنا هذه الدروس في سياق حقيقيّ محفز، كنا نحن والأطفال جميعنا منفعلين، وقد نجحنا في توجيههم إلى العمل في أول مشروعاتهم البحثية، ودمجنا المنهاج المفروض رسميًّا بدراستنا؛ لذا لم يكن مثبطًا للهمة.

أصبحوا خبراء: اختيار الموضوعات

بعد أسابيع من تفحص كتب المعطيات هذه، أخبرنا الأطفال أن باستطاعتهم أن يصبحوا خبراء أيضًا، وذلك عن طريق الأبحاث والقراءة والرسم والكتابة حول شيء يحبونه ومهتمين به حقًّا، سألناهم: «في أي مجال تريد أن تكون خبيرًا؟»، كانت قائمة الخيارات طويلة ومكتوبة بالإنكليزية أو الإسبانية؛ ليسهم الأطفال في اللغة التي يرتاحون لها. رسمنا صورًا بجانب كل فكرة، والأطفال تواقون إلى اختيار الموضوعات، وأحيانًا نتفاجأ بخياراتهم.

جوانا طفلة صغيرة الحجم جدًّا، ولطيفة وذاتية التحفيز، قالت بثقة وسعادة غامرتين: «أريد أن أصبح خبيرة في الديناصورات»، أما جوردن فقد ظهرت مشاعره الغاضبة بسرعة، وبدا أن حاجته للصلة مع المعلمين قوية جدًّا، لقد كان يجد السبل ليشتت انتباهنا عن بقية الأطفال، إنه متحير في ما يختار، مرة يريد أن يصبح خبيرًا في السيارات والعربات، ومرة يريد أن يصبح خبيرًا في العائلات، وأخيرًا قرر أن يختار الخيار الأخير،فهو قريب من قلبه بعدما تكيف مع طلاق أمه وأبيه.

في كل سنة أصبح الكثير من الأطفال خبراء في الحيوانات، وقد تراوحت الاهتمامات من الحيتان وسمك القرش إلى الخيول وحمار الوحش والتماسيح والنمل، وكل شيء بين هؤلاء؛ فمثلًا، أراد ويلسون أن يصبح خبيرًا في الأبقار. في إحدى السنوات كان لدينا خبير

في جسم الإنسان، وفي سنة أخرى كان لدينا خبير في الأطفال الصغار، كان لدينا خبراء في الرسم والمتنزهات والدراجات النارية والورود وكرة القدم. أراد جوزيف أن يصبح خبيرًا في كرة السلة، ولكن حين بدأ بحثه بدا أنه أراد حقًّا أن يصبح خبيرًا بالبطل سامي سوسا Sammy Sosa. لقد أحببنا مشاهدة عملية اختيار الموضوعات هذه.

لقد عكست الموضوعات نواحي من شخصيات الأطفال، وهي نواحٍ شاهدنا بعضها، في حين أن بعضها الآخر لم يكن واضحًا، وتعد عملية الاختيار مهمة جدًّا، وبما أن الأطفال اختاروا موضوعاتهم الخاصة بهم، فهذا دليل على أنهم كانوا منخرطين بعملهم بعمق. وعن طريق إتاحة الفرصة لاهتماماتهم المتنوعة أظهرنا للأطفال احترامنا لأفكارهم، وأن المدرسة مكان يقدّرون فيه ما يتعلمونه.

أتى بعد ذلك جزء محبب آخر من دراستنا، وهو تجميع الكتب حول كل موضوع، لقد وجد الأطفال كتبًا في مكتبة المدرسة، ولكننا زرنا المكتبات العامة ليطلع كل طفل على عدد كبير من الكتب، كانت قوائم الكتب جاهزة عندنا، وبحثنا عن كتب تدور حول كل موضوع باللغتين الإنكليزية والإسبانية، وجدنا أن كل كتاب كان يمثل متعة رائعة، وتخيلنا أن الطفل الذي سيصبح خبيرًا في الحال ينعم النظر في هذا الكتاب، ويكتشف معطيات جديدة، كانت هناك صعوبة أكبر في العثور على كتب حول بعض الموضوعات، وبعد أن استنزفنا مصادر المكتبات العامة ذهبنا إلى مخازن الكتب والشبكة العنكبوتية.

أحضرنا الكتب إلى غرفة الصف بحقائب ثقيلة، كان الأطفال سعداء في الحصول على كتبهم، ونظروا إليها بابتسامات عريضة تنم عن الاعتزاز، وبعد ذلك وضعوا هذه الكتب بعناية في أكياسهم، بعض الأطفال كانوا مندهشين لعثورهم على كتب تدور حول موضوعات دراساتهم، وآخرون رأوا كتبًا عن موضوعاتهم في غرفة صفنا تجعل منهم خبراء.

أكدنا أن هذا المشروع يمثل تجربة لتعلم اللغة بالنسبة إلى الأطفال الذين يأتون من الخلفيتين اللغويتين كلتيهما، ركزنا على اللغة الأصلية في عملية الكتابة، وكان الأطفال ثنائيو اللغة يكتبون باللغتين كلتيهما. ولكي نساعد الأطفال على النظر في النصوص غير الخيالية عن اكتشافاتهم، فقد اتبعنا الاقتراحات المقدمة من بوهرو وغارسيا Buhrow& Garcia،

قلنا للأطفال بأنه حين نقرأ كتب المعطيات فإننا نتعلم شيئًا جديدًا وأحيانًا نتعجب أو يكون لدينا سؤال، وأحيانًا نكون مندهشين ونقول «يا إلهي»، صنعنا لافتة يدوية وصورة لكل من هذه تقول «أنا أتعلم»، «أنا أتساءل».

أخذنا قصاصات من الورق لكل محفز، وتركنا فراغات للرسومات والكتابة، كما صنعنا نموذجًا للعملية قبل دعوة الأطفال للكتابة حول موضوعاتهم، وبما أن معظم الأطفال كانوا لا يقرؤون بصورة مستقلة فقد جمعوا المعطيات من الصور والرسوم البيانية والخرائط، إضافة إلى ذلك بذلنا جهدًا لأن نقرأ للأطفال من كتب الخبراء الخاصة بهم، وعيّنا طلابًا يؤدون دور المعلمين، وأشخاصًا بالغين آخرين ليقرؤوا معهم. في بعض السنوات عيّنا طلابًا من المرحلتين: الرابعة والخامسة كشركاء لأطفالنا ليقرؤوا لهم من كتب المعطيات، وبعد النظر إلى كتبهم أو قراءتها مع أحد الكبار أو طلاب أكبر منهم سنًّا كان الأطفال -أحيانًا- يختارون شيئًا يتعلمونه، أو يتساءلون عنه، ورسموا، وكتبوا عن هذا الشيء، جمع الأطفال أيضًا الكثير من قصاصات الورق، واحتفظوا بها في مصنفات مع كتب الخبراء الخاصة بهم. وفي مرحلة لاحقة أصبحت هذه الكتب جزءًا من معروضاتهم في غرفة صفنا.

تتويج الجهد: بناء متاحفنا

في الوقت الذي كان الأطفال يجرون الأبحاث على موضوعاتهم، استمر الصف في زيارة المتاحف، تحدثنا عن كيفية صنع الخبراء لمعروضاتهم، وبعد أن سجلنا الأفكار على مخطط بيانيّ ناقشنا ما لاحظناه في المتاحف جميعها، وما شاهدناه في بعض المتاحف فقط. قال الأطفال بأنهم شاهدوا زوارًا في المتاحف جميعها، إضافة إلى حراس، وعلقوا بأن كل المتاحف بها قواعد، مثل (ممنوع الركض)، و(ممنوع الصراخ)، في حين لا يوجد مثل هذه القواعد في متاحف الأطفال. وفي بعض المتاحف نظم الأطفال قوائم تحتوي على النمور والديناصورات، وكذلك مكانًا لتناول الطعام يشبه الكافيتريا، وبهذه النقاشات توصل الأطفال إلى أفكار كبيرة عن المتاحف وهي:

- يذهب الناس إلى المتاحف ليتعلموا.
- الناس يعملون في المتاحف.

- هناك أعمال كثيرة في المتاحف.
- المتاحف أمكنة يحتفظ فيها بالأشياء المهمة بطريقة آمنة.
- تجمع المتاحف الأشياء كي يشاهدها الناس.

في حين كان الكثير من محتوى الصف المخصص للمتاحف كل سنة محتوى تسيره دوافع الأطفال ومن صنعهم، فقد كان المشروع الذي توج دراستنا أيضًا مشروعًا خطط له المدرسون، كنا -عادة- نفكر بابتكار محادثة يخرج منها الأطفال بفكرة افتتاح متحف في غرفة صفنا، ولكن في السنة الأولى تحققت هذه الفكرة دون الكثير من التوجيه، حين تحدث الأطفال عن المتاحف وعن موضوعاتهم تساءل أحد الأطفال قائلًا: «نحن نستطيع أن نصنع متحفنا الخاص بنا؟»، ردد الأطفال الآخرون بالإيقاع نفسه قائلين: «نعم، نعم». وبما أن الأطفال الصغار يتعلمون عن طريق تمثيل تجاربنا باللعب فلم تكن الفكرة مفاجئة، فحالما انبثقت الفكرة كان الصف منشغلًا، ونظم الأطفال قائمة بالأشياء التي يتعين فعلها. لقد تدرجت أفكار الأطفال من صنع المعروضات، إلى اتخاذ قرار بشأن اختيار اسم لمتحفنا، إلى دعوة العائلات والصفوف الأخرى، وصولًا إلى زيارة المتحف. في السنوات اللاحقة استبق بعض الأطفال الأمور، وخرجوا بأفكار تسهم في دراستنا، فقد سبق لهم زيارة متحف الصف كطلاب ما قبل الحضانة، أو لهم أقارب أكبر سنًّا كانوا في صفنا.

(الشكل 6:2): أصبح الأطفال خبراء في مواضيع هواياتهم وأجلروا بحوثًا عنها. شمل عرضهم عناوين ورسومًا بيانية وصورًا مع شرح لها ولوحات مع نص بخط اليد. يبيّن الشكل معرض أحد الأطفال عن التماسيح.

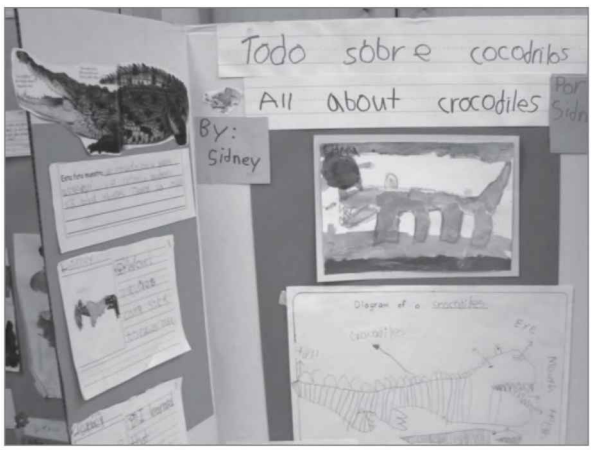

أصبح للأطفال هدف في لعب الدور والتخطيط، وعملوا على خلق متحف (حقيقي) تخيلي، اتبع الأطفال خصائص الكتب التي كانوا يقرؤونها، وبذلك اختاروا عناوين لمعروضاتهم، ووضعوا بطاقات تعريفية على الرسوم البيانية والصور والفن الذي صوّر موضوع الطفل، وصفحات من الرسومات، ونصوص مكتوبة بخط اليد، كانت المعروضات صورة جامعة رائعة، كشفت عن اهتمامات الأطفال ومعرفتهم ومهاراتهم الكتابية المتطورة (انظر الشكل 6.2).

خصصنا وقتًا من زمن الحصة الدرسية لمراكز المتاحف، حيث صنع الأطفال البطاقات التي تدعو الناس إلى زيارة متحفنا، صوّرنا نموذج هذه الدعوة وأرسلناها إلى البيوت، كما صنع الأطفال لافتات ترشد إلى طاولة المعطيات وقاعات المعروضات، إضافة إلى صنع لافتة كبيرة تحمل اسم متحفنا (انظر الشكل 6.3). صنع الأطفال أعمدة للمدخل، (ليس للمتاحف كلها أعمدة، ولكن في بعض السنوات شعر الأطفال أن الأعمدة ضرورية لكي يكون متحفنا متحفًا حقيقيًّا).

(الشكل 6:3): رسم الأطفال في الصف لافتة للمتحف باللغتين الإنجليزية والاسبانية.

اتخاذ القرارات

قام الصف بدراسة مسائل متنوعة مثل: هل سيفرضون رسم دخول أم يطلبون تبرعًا؟ هل علينا تناول الطعام؟ أجرى الأطفال عصفًا ذهنيًّا على الأفكار، واستمعوا إلى بعضهم

بعضًا، ثم أجروا التصويت. ولكي يتخذوا قرارًا بشأن اسم المتحف تحدث الأطفال عما يحبذونه من الأفكار العديدة، وقرأت المدرسات الأسماء المقترحة باللغتين كلتيهما، ليرين كيف يكون وقعها، وبعدها أجرى الأطفال عملية التصويت، كان أحد الأسماء المفضلة لدينا هو (متحف الأطفال الخبراء). في كل عام كان الدخول بالتبرع، وفي كل عام درس الأطفال فرض رسم دخول، بما أننا زرنا متاحف فرضت رسم دخول، ومتاحف أخرى كان الدخول إليها مجانًا وطلبوا تبرعًا، وفي حين انفعل بعض الأطفال حول فكرة كسب النقود، إلا أن عددًا قليلًا من الأطفال -دائمًا- يعبرون عن القلق بأن ذلك سيكون أمرًا غير منصف؛ إذا أرادت عائلات أو أصدقاء من صفوف أخرى زيارة المتحف ولم يستطيعوا القيام بذلك بسبب الافتقار إلى المال، كانت المقولة الأخيرة مقنعة، وبالرغم من أن التصويت لم يكن دائمًا بالإجماع، إلا أن الرأي المساند للتبرع هو الفائز دائمًا.

كان على الأطفال أن يقرروا طريقة جمع المعروضات في قاعات مختلفة، طلبنا إليهم إعداد بطاقات، تحمل أسماءها وموضوع كل معروض ورسمًا صغيرًا لكل منها، بعدها جلسنا على صورة دائرة، ووضعنا الأسماء في منتصف هذه الدائرة، ولكي نظهر الأصناف المختلفة طلبنا إلى الأطفال تقدير الموضوعات التي تنسجم مع بعضها بعضًا، وأن يبينوا سبب كذلك. كان لدينا -عادة- معروضين أو أكثر عن الديناصورات، وبعد ضم كل موضوع إلى موضوعات مشابهة، طلبنا إلى الأطفال أن يجدوا أفكارًا حول تسمية كل مجموعة، وهذه الأسماء ستكون أسماء لقاعات متحفنا، مثل: (قاعة الحيوانات ذوات الأربعة أرجل)، (قاعة الأشياء التي يصنعها الناس)، (قاعة الأشياء ذات العجلات)، أعطت هذه العناوين المتمركزة حول الطفل إحساسًا بملكية المشروع ملكية كاملة، وهي عناوين أوضحت أيضًا طريقة تعلمهم لعملية التصنيف.

الاضطلاع بأعمال المتحف

انبثقت فكرتان كبيرتان من هذه المناقشات: المتاحف هي أمكنة يعملها الناس، والناس الذين يعملون أعمالًا خاصة هناك يجعلون من المتاحف أمرًا ممكنًا. تحدث الأطفال عن أعمال ضرورية إضافة إلى الأعمال التي أرادوا مزاولتها. أوضحنا للأطفال أن هؤلاء الناس

كانوا مصممي معروضات وبنائين، وكذلك مرشدو المتحف الذين يشرحون كل شيء تعلموه عـن موضوعاتهم للزوار. سـمّى الأطفال أعمالًا أخرى سـيتعيَّن علينـا عملها وهي: متطوعون عنـد طاولة المعطيات، وحراس أمن، وبائعـو البطاقات، وطاقم التنظيـف. كان لدينا أغنية إسبانية تقليدية للأطفال غنّيناها باللغتين. تقول الأغنية:

في المتحف هناك الكثير من الأعمال

أحد هذه الأعمال أن تكون مرشدًا

على هذا النحو على هذا النحو

المرشد يسير على هذا النحو x2.

حيـن كنـا نغنـي ونقول «على هـذا النحو» نقـوم بحـركات ابتدعها الأطفال لتناسـب كل عمل، لقد قدم التدرب على الأعمال وأدائها في المتحف فرصًا رائعة للتطور اللغوي. خلصنا إلـى كتابـات قصيـرة تصـف كل عمل وتـدرب الأطفـال عليها. كان المرشـد يقـول: «مرحبًا، أهـلًا بكـم في متحفنـا، اسـمي..... وأنا اليـوم دليلكم. هـذا المعروض هو عـن.....»، وسـيقول حارس الأمـن: «من فضلكـم لا تلمسـوا المعروضات». جُـذب الأطفـال الذين كانوا -فـي العـادة- لا يتكلمون كثيرًا للمشـاركة، وكانـت مهارات الأطفال -أحيانًـا- تظهر بصورة غير متوقعة.

رفعت ماري الخجولة والقليلة الكلام (والتي تعمل ضمن مجموعات كبيرة وضمن العمل التعاوني) يدها لتقترح علينا صنع بطاقات للمتحف، أرسلنا ماري إلى طاولة صنع البطاقات في أثناء وقت عمل المتحف، فكان لماري تأثير على المجموعة برسم أيقونة صغيرة للمتحف علـى كل بطاقـة، عدت ماري البطاقات مع جوزيف الذي كان يمتلك مهارات رياضية متطورة جدًا، ولكنه خجول للغاية، وغير قادر على التعبير عن أفكار معقدة.

كان لدينـا نوبتـان ليتمكن الأطفـال جميعهم من العمل كمرشـدين، كما كان لدينا عمل إضافـيّ، مثـل: حارس أمن، ومتطـوع لطاولة المعطيـات، أو بائع بطاقات. الجميـع كانوا في طاقم التنظيف.

إشراك العائلات

بينما كنا نستعد لافتتاح متحفنا أبقينا العائلات مطلعة على خططنا، وذلك عن طريق رسائل إخبارية أسبوعية، بيد أن الأطفال تشاركوا بمعطيات مع عائلاتهم أكثر مما استطعنا نقله عن طريق الكتابة. لقد فاجؤونا بقصص وأشياء أتوا بها من البيت، وأوضحت قوة هذه الوحدة في جسر البيت والمدرسة. أحضرت واندا خارطة متحفنا التي رسمتها بنفسها. أشارت المربعات والخطوط المتعاكسة فهمها لنموذج المتحف، وأظهرت أيضًا صراعها مع المكان.

لقد ثابرت واندا لتصنع خارطة تعني لها شيئًا. أما ايفيت التي كانت تواجه متاعب كونها لطيفة مع الفتيات الأخريات، فقد أحضرت بطاقة بوكيمون وعليها فرس البحر لصالح معرض واندا للحيوانات البحرية، وكانت هذه الخطوة تظهر الكرم، وإحساسًا بالانتماء إلى مجتمع لم نره من قبل.

والدا زو أخذاها إلى متحف التاريخ الطبيعي لتحصل على أفكار من أجل معروضها عن الفراش، برقت عيناها حين شاركت في وقت الصف الجالس على صورة دائرة، وقالت: «لقد رأيت مرشد متحف حقيقي أمام عيني».

افتتاح المتحف

أصبح للتقويم السنوي معنى إضافيًّا حين كان أطفال الصف يعدون الأيام وصولًا إلى يوم افتتاح المتحف. قبل يوم من يوم الافتتاح أعدنا ترتيب الأثاث، وتدربنا على مراسم الافتتاح. حمل صباح يوم الافتتاح توقعات تشارك فيها العديد من الناس، حين انتشر الآباء وأفراد العائلات والآخرون، كانت الغرفة تضج بغمغمات الحديث. وحين ننظر إلى الخلف ونتفحص ست سنوات من دراستنا للمتاحف فإننا نستطيع أن نتذكر لحظات محددة لكل افتتاح.

أخذتني ولية أمر جيفون جانبًا، وقالت لي بأن ابنها استيقظ قبل الفجر وارتدى ملابسه، وانتظر عند الباب، وسأل قائلًا: «هل الساعة الآن التاسعة؟ سيفتتح المتحف عند

الساعة التاسعة»، لم يظهر جيفون اهتمامًا في هذا المشروع من قبل، وكان -غالبًا- يبدو منعزلًا. عملنا جاهدين لنساعده في الشعور بأنه عضو في مجتمع صفيّ، ومع ذلك في هذا اليوم أظهر لنا أهمية أن يكون جزءًا من ذلك المجتمع.

تأمل: تعلم حقيقي

رأينا أمثلة عديدة تبين لنا كيف احتفظ الأطفال بالمعرفة المكتسبة في أثناء عملية صنع المعروضات:

سامسون الذي كان معروضه بعنوان (كل ما يتعلق ببناء البيوت) كان -تقريبًا- يتحدث إلى نفسه في أثناء الرحلة، حيث كان يقول: «ذلك البناء مصنوع من كتل الإسمنت المسلح، وذلك البناء مصنوع من الآجر، طبقات الآجر هي من كونته»، فاجأنا سامسون أيضًا بدرجة وعيه لموضوعات معروضات الأطفال الآخرين، فبعد أسبوع من المتحف أحضر كومة من الصور الفوتوغرافية المقصوصة من المجلات تظهر موضوع كل زميل صف له.

كان إلمر -وهو طفل ثنائي اللغة- متحفزًا للتحدث بالإنكليزية في مركز الكتابة. أملى إلمر كتابًا يسمى كل ما يتعلق بالآباء، إحدى صفحات هذا الكتاب تقول: «بعض الآباء يعملون في المتاحف، وبعضهم في الشرطة، ويقولون: كلا، لا تلمسوا المعروضات».

كان الأطفال الأكبر سنًّا يعودون إلى متحف الروضة ضيوفًا كلما انتقلوا عبر المراحل الدراسية، ويتذكرون -دائمًا- موضوعاتهم ويتحدثون عنها، إننا نعزو الأثر القوي للتجربة إلى أهمية بيئة صفية يؤدي الأطفال خيارات تعلمهم في المدرسة، وكذلك للقوة التي تدفعهم إلى تعلم هذه الموضوعات بعمق.

في يوم السبت نقوم برحلة عائلية إلى متحف التاريخ الطبيعي، وتنضم إلينا ست عائلات، إضافة إلى آري Ari أكثر طالب لدينا مثير للتحدي منذ السنة الأولى لدراسة المتحف. في تلك السنة أخذنا آري إلى المتاحف أيام السبت أو بعد الدوام المدرسي مع واحد أو اثنين من أقرانه في الصف وأولياء أمورهم، وذلك لأن رحلات المجموعات الكبيرة لم تكن تمنحه مجالًا للمشاركة. في هذا العام هو في المرحلة الثالثة بصحبة أمه التي لا

تكل ولا تمل، إنه يقفز من الدهشة والذكريات. في قاعة الديناصورات شاهدنا صبيًّا كان من طلاب آمي في السنة الأولى من دراسة المتحف، أوضحت أمه بخجل أنهم حاولوا التفكير بفعل شيء مختلف في عطلة نهاية الأسبوع، وفجأة تذكروا القدوم إلى المتحف قبل سنوات كثيرة، وقالت مبتسمة: «ها نحن هنا». من الصعب أن نصف عمق مشاعرنا في تلك اللحظة، إنها مشاعر سرور واعتزاز وطمأنينة بأننا حققنا غاياتنا كمدرسات ومثقفات ومتعاونات ومرشدات على الكثير من المستويات.

تعليقات المحررين

لدى أندريا ومارغريت توقعات عالية في إطار التطور الفكري والاكتساب اللغوي للأطفال الذين يدرسنهم في صفهم الشامل ثنائي اللغة. إنهن يضمنَّ أن يتمكن الأطفال جميعهم من الوصول إلى نطاق واسع، من الكتب التي تدور حول الموضوعات التي يجرون الأبحاث عليها، وهي كتب ليست محصورة بالكتب المبسطة. هذا الأمر مهم، لأنه حين يكون الأطفال مهتمين حقًّا بموضوع معين، فإنهم يصلون إلى تحقيق هدفهم في الفهم.

تقدم أندريا ومارغريت للأطفال طرق البحث التي تلائم أطفال الروضة، إن أخذ الملاحظات وبطاقات الملاحظات ونظام الملفات تسمح للأطفال بتنظيم معطيات جديدة، في حين أن أطفال الخامسة من العمر لا يعطون -غالبًا- الفرصة ليكونوا باحثين، إلا أن هذه الإستراتيجيات تقدم لهم الأدوات التي يحتاجونها. وحين يُجري الأطفال أبحاثهم يتخطون متطلبات المعايير الحكومية الأساسية المشتركة.

تلعب الفنون دورًا قويًّا في مساعدة الأطفال على معالجة معرفتهم المتزايدة عن المتاحف وطريقة عملها، وتبين المدرسات كيف تساعد الأغاني الأطفال على فهم واكتساب مفردات جديدة في اللغتين كلتيهما، خاصة حين يؤلف الأطفال أشعارهم الخاصة بهم. يعمق الغناء والبناء ورسم أشياء المتحف الصفية ولعب الأدوار انخراط الأطفال، ويقوي إحساسهم في الانتماء إلى المجتمع.